

الصحافة التونسية والغزو الإيطالي للبييا (1911 - 1912)

عبد الكريم الماجري
كلية الآداب بمنوبة

تتوفر عدة دراسات حول قدم العلاقات الليبية التونسية والإنتماءات السياسية والحضارية المشتركة سواء في العهد الروماني أو إثر الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا¹ ومن المعلوم كذلك أنه خلال القرن السادس عشر، أصبحت كل من طرابلس والبلاد التونسية ولا يتين عثمانيتين إلا أنه خلال القرن الثامن عشر ظهرت الدولة الحسينية بتونس والدولة القرمطية بليبيا وهي كيانات سياسية شبه مستقلة عن السلطنة العثمانية.

فيحق لنا أن نتساءل عن مدى تأثير تلك التحولات السياسية على مستوى تعلق التونسيين بالدولة العثمانية من ناحية وبالليبيين من ناحية أخرى؟.

لا شك أن هذا السؤال يطرح نفسه بأكثر إلحاح بعد انتصاب الحماية الفرنسية بتونس سنة 1881 وخروج المحمية الفرنسية عن إطار نفوذ الدولة العثمانية بصفة إسمية وفعلية معا.

في البداية نشير إلى أن كل ما هو حدث سياسي مثل انتصاب الحماية لا يؤدي بالضرورة إلى القضاء

1- نخص بالذكر منها مقالا للأستاذ هشام جعيط: "ولاية إفريقية في القرن الثاني (السادس م)، دراسة في المؤسسات" (بالفرنسية).

في ستوديا اسلاميكا

DJAÏT (h), La wilaya d'Ifrîqiya au II^e/VII siècle : étude institutionnelle" in *STUDIA ISLAMICA* (XXVII), PP 77-121 et XXVIII, P79-109.

على المقومات الحضارية التي تربط بين شعوب لها نفس الانتماءات ، ومن ناحية ثانية نشير كذلك إلى أن ساسة الدولة العثمانية لم تنس الشعوب التي خرجت عن نفوذها السياسي إذ سعى السلطان عبد الحميد الثاني لتغطية سياسته الاستبدادية إلى جمع شمل المسلمين تحت راية الدولة العلية بواسطة الجامعة الاسلامية ونشر دعائه في كامل أنحاء الولايات العثمانية ومن بينها تونس² وأحصى من جديد الوظيفة الدينية للخليفة العثماني، أي خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين.

ولهذا نجد الجزائريين والتونسيين الذين هاجروا أو طأنهم بعد دخول الاستعمار الفرنسي قد توجهوا إلى الأستانة أو الولايات العربية الأخرى مثل سوريا وسلك الليبيون نفس المسالك إثر الغزو الإيطالي لبلدهم³.

أما العلاقة بين التونسيين والليبيين فلها عدة جوانب فبالإضافة إلى الانتماءات الحضارية كانت هناك علاقات تجارية قديمة تأكدت خلال القرن التاسع عشر بتواجد الوكلاء في كل من طرابلس وتونس⁴، وتواجد الجالية الطرابلسية بتونس ونظيرتها التونسية بطرابلس يؤكد مثانة العلاقات بين الشعبين كما ساهمت الاشغال الكبرى التي قامت بها سلطات الحماية الفرنسية بتونس في هجرة عدد هام من الجاليات الأوروبية والمغربية كان للطرابلسية تسطهم الأوفر من ذلك. ربما هذه المعطيات الأولية تساعدنا على فهم موقف الصحافة التونسية من الغزو الإيطالي لليبيا 1911 الذي كان له أثر على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالبلاد التونسية خلال سنتي 1911 - 1912⁵.

2- الأرشيف الوطني، سلسلة E صندوق 550 ملف 30، الجامعة الاسلامية (6 ملفات).

3- المجري (عبد الكريم)، دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم العربي الاسلامي قبل الحرب العالمية الأولى، شهادة كفا في البحث مرقونة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس 1977.

4- جعبر (عمار) العلاقات الليبية التونسية في القرن التاسع عشر (ملاحظات أولية على نشاط الوكلاء، المجلة التاريخية المغربية، السنة العاشرة، عدد 29 - 30 - جويلية 1983، ص 125 - 145.

5- لظن هذا الموضوع اعتمدنا كل الصحف التونسية الصادرة في تلك الفترة مستعينين في ذلك بكتاب محمد الصالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي، الدار العربية للكتاب، تونس 1982، ج 1، أما المراجع الأخرى فهي تشير بصفة عابرة إلى هذا الموضوع باستثناء دراسة الأستاذ توفيق العيادي التي خصص فيها فصلا لاتمكاسات الحرب الإيطالية الليبية على تونس انظر :

العيادي، توفيق، الحركة الاصلاحية والحركات الشعبية في تونس 1906-1912* (بالفرنسية)، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1986.

AYADI (Taoufik), "Mouvement reformiste et mouvements populaires en Tunisie 1906-1912", Publication de l'Universite de Tunis 1986, pp145-157.

١ اهتمام الصحافة التونسية بمقدمات الضو^٦.

بلغت الرأسمالية بأوروبا طوراً متقدماً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مما أدى بها إلى حلقة الاستعمار. ولئن كانت الرأسمالية أقل تجذراً في إيطاليا بالمقارنة مع الدول الأوروبية الأخرى فإنّ هناك عوامل خاصة⁷ بإيطاليا دفعتها إلى الدخول في الحركة الاستعمارية⁸.

لقد استعملت إيطاليا الأساليب المألوفة لا نجاز مشروعها الاستعماري في ولاية طرابلس، فكانت الرحلات الاستكشافية⁹ والبعثات التبشيرية، التي أسست المدارس والكنائس¹⁰، وكانت هجرة الإيطاليين الذين ارتفع عددهم من 612 سنة 1905 إلى 819 سنة 1911¹¹، وإن كان هذا العدد من المهاجرين لا يمثل خطراً كبيراً مقارنة مع الجالية الإيطالية التونسية، فإن التوغل الاقتصادي هو الذي لفت انتباه بعض الصحفيين التونسيين.

لقد تمكن بنك روما سنة 1907 من تأسيس فرع له في مدينة طرابلس ثم تعددت فروعها بالمدن الرئيسية الأخرى¹². وقد تنوعت أنشطة هذا البنك فأحدث خطوطاً ملاحية بين طرابلس ومصر، وصالات غذائية مثل معاصر الزيتون، وقام بشراء آلاف الهكتارات وأقرض التجار الطرابلسيين بفوائد مرتفعة، وأنشأ مطبعة ونشرية "أسبوعية"¹³.

ولم تمرّ ثلاثة سنوات حتى حقق رقم معاملات يساوي 245 مليون ليرة، وقدرت قوياته بخمسة

6 - اعتمدنا خاصة على الزهرة والاتحاد الإسلامي والمشير والصراب والتونيزيان. (Le Tunisie).

7 - نذكر منها تشتت المهاجرين الإيطاليين في أنحاء العالم والتزايد الديمغرافي.

8 - حول هذا الموضوع انظر:

عبد المصنف حافظ البوري: الغزو الإيطالي لليبيا، دراسة في العلاقات الدولية، المنار العربية للكتاب، 1983.

MIEGE (J.L.), L'imperialisme colonial Italien de 1870 à nos jours S.E.Q.E.S. Paris 1968.

9 - يرجع عبد المصنف حافظ البوري تاريخ أولى الرحلات إلى سنة 1880 التي قام بها "مانفريد وكامبيرو" مؤلفاً من قبل الجمعية الإيطالية للاستكشاف.

10 - نفس المرجع.

11 - ميج، نفس المرجع ص 89.

12 - البوري، المرجع السابق، ص 271.

13 - Economiste di Tripoli.

ملايين دولارا سنة 1911¹⁴.

أمام هذا التوغل الاقتصادي، حذرت جريدة المشير¹⁵ من مغبة سيطرة إيطاليا على ولاية طرابلس بواسطة مشاريعها الاقتصادية، إذ كثرت المصارف الإيطالية والمعامل والمتاجم الخاضعة للتسيير الإيطالي "والخلاصة أن الداخل لهذه الولاية يتوهم لأول مرة أنها ولاية إيطالية لاعثمانية لما يجده ثمة من الآثار الإيطالية¹⁶. هذه الهيمنة الاقتصادية هي التي تفسر غيظ إيطاليا على والي طرابلس¹⁷ الذي أظهر ميلا لتشريك دول أخرى في استغلال ثروات البلاد¹⁸ فقد ظهر وكأنه يعاكس المصالح الإيطالية مما أحدث ضجة صحفية في إيطاليا¹⁹:

وفي عدد آخر، يتوجه صاحب المشير بموعظة للطرابلسيين كي يسدوا الباب أمام الغزو الإيطالي، الذي لا يمكن أن تكون له إلا نتائج سلبية على ولاية طرابلس، إذ لو تمكنت إيطاليا من السيطرة عليها فانها ستعرض "أبنائها الأشرار الذين ينشرون المبيقات ويقتلون الطرابلسيين جورا ... ان مساوئ الإيطاليين بالايالة التونسية هي كافية لأن تكون درسا مفيدا لآخواننا الطرابلسية كي يعرفوا كيف يقاومون ذلك التيار الخطير..."²⁰

بالإضافة إلى التوغل الاقتصادي تحدت إيطاليا حرمة ولاية طرابلس وحاولت التدخل في الشؤون الداخلية، برزت هذه الظاهرة في مسألة الصحفي "كارلو كوزمان"، محرر جريدة الترقى الإيطالي.

14 - مجا، نسر المرجع، ص 89.

15 - أسفا الصحفي الطيب بن عيسى في غرة محرم 1329 الموافق لـ غرة جانفي 1911.

16 - المشير، 21 / 3 / 1911، في طرابلس الغرب: بداية المحاكمات

17 - عرب الوالي إبراهيم أدهم باشا (1911) بعرقلة الجهود والمبادرات الإيطالية على غرار الوالي وجب باشا)

1804 وهو أحد زعماء تركيا الفتاة. حيث عين وزيراً للحربية في الحكومة الجديدة. أهد زعماء تركيا الفتاة حيث عين وزيراً للحربية في الحكومة الجديدة.

18 - منح الرائي إبراهيم باشا امتياز الكبريت لشركة أمريكية كما سعت ألمانيا وفرنسا لتدعيم وجودهما الاقتصادي بولاية طرابلس.

19 - نشرت صحيفة "الفكرة الوطنية" في أول مارس 1911 مقالة جا. فيها : إن الحل بعد التجارب الفعلة لسياسة التفاهم

مع الباب العالي إما بإيقاف العداء والاعتراضات الواسع بحقوقنا في طرابلس وإما إحتلال الأرض وليس هناك من طريق وسط. ذكر،

عيد المنصف حافظ الجوري

، المرجع السابق، ص 143 .

20 - المشير، 11 جوان 1911 . طرابلس الغرب.

ويتمثل هذا المشكل في أن الوالي حسني باشا أبعد هذا الصحفي امتثالاً لارادة قنصل إيطاليا، لكن اثر ترخيص من الدولة العثمانية تمكن من الرجوع الى طرابلس " وعلى اثر هذه الحوادث قامت الصحافة الإيطالية وقعدت وصوتت سهام الانتقاد للعرب، وقد أذرت الدولة العلية باجرا ، مظاهرات بحرية في بعض جزر الأرخبيل"، وقد اعتبرت جريدة الصواب هذه الموقف تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية لولاية طرابلس الغرب²¹.

واصلت الصحافة الإيطالية²² حملتها تمهيدا لجعل مسألة طرابلس مشكلة سياسية من أكبر المشاكل. فأخذت تتحدث عن انتشار حمى التيفوس وهلاك أعداد غفيرة من السكان، دون اتخاذ أي تدبير. وعن هجرة الشباب الليبي الى تونس هربا من الخدمة العسكرية²³.

اعتمدت جريدة المشرق على ما نشر بالصحافة التركية لتكذيب هذه الأقاويل، ورأت أنه يمكن تفسير هذه الحملة بعدم تلبية رغبة إيطاليا في احتكار المشاريع الاقتصادية خاصة وأن الحكومة العثمانية قد أعطت امتيازاً لبعض المشروعات لشركة ألمانية في طرابلس الغرب²⁴. أمام هذا الوضع فإن المشرق لا تستبعد قيام حرب بين إيطاليا والدولة العثمانية، ولكن فوز إيطاليا مستبعد لأنها لا تقدر على أخذ تلك الولاية بالقوة ، فقد أصبح الجيش العثماني قادرا على التصدي لها عند الاقتضا²⁵.

هكذا نرى أن الجرائد التونسية حذرت من التوغل الاقتصادي لإيطاليا في ولاية طرابلس الغرب وانتقدت تدخلها في الشؤون الداخلية، وتنبأت بالحرب. إلا أنها كانت متفائلة بانتصار الدولة العثمانية . واصلت الجرائد التونسية اهتمامها بمسألة طرابلس الغرب وخصصت للغزو العسكري مساحات كبرى على صفحاتها، ولم يقتصر اهتمامها على الأخبار العسكرية بل أملت يكل جوانب القضية.

21 - الصواب، 3 فيفري 1911 ، مسألة جريدة الشرق الإيطالية. أسس الصواب محمد الجعابي سنة 1904 .

22 - حول دور الصحافة الإيطالية في الغزو الإيطالي لليبيا، انظر عبد المصنف حافظ البوري، المرجع السابق، ص 133 - 151 . ويشير المؤلف الى أنه رغم شدة هذه الحملة الصحفية المؤيدة للغزو هناك صحف عارضت الغزو ووقفت بشدة ضدّه

23 - المشرق، 13 أوت 1911 ، طرابلس الغرب وإيطاليا.

24 - نفس المصدر.

25 - نفس المصدر.

2 أسباب الغزو الإيطالي لليبيا

حاولت الدول الاستعمارية إخفاء الأسباب الحقيقية لحركتها التوسعية، وسعت لاختلاق ذريعة ما لتنفيذ مشروعاتها الاستعمارية، فادّعت إيطاليا أن رعاياها يعانون أتعابا كثيرة، ويلاقون معاكسات من طرف الولاة الأتراك في حركتهم الاقتصادية²⁶ قصد إضعاف نفوذها بطرابلس الغرب²⁷.

بهذه الدعاوى الواهبة هدفت إيطاليا إلى تحميل الولاة الأتراك مسؤولية الغزو، فتصدت جريدة الصواب لنفي هذه الإدعاءات مبينة أن ليس لإيطاليا أي حدود مع طرابلس الغرب، ومصالحها الاقتصادية في هذه الولاية تبدو منعقدة إذا ما قارناها مع الدول الأخرى "ومالها المبدور فيها لا يساوي عشر معشار ما لغيرها من الدول"²⁸. وتواصل الصواب تفنيدها للمزاعم الإيطالية مشيرة إلى أن بنك روما لا يمثل سوى مصرف حقير ترعزع بظهور البنك الزراعي الدولي الذي أسسه الوالي وجب باشا فتم بذلك تهيش أعمال ذلك البنك، "وما يقوم به هناك بنك دي رومة لا يكفينا أن نضحك طويلا بل نسخر على ضعف العقل"²⁹.

رغم أننا نلاحظ تناقضا بين مضمون هذا المقال وما نشرته جريدة المشير حول الغزو الاقتصادي غير أن الغرض كان واحدا. فالمشير تريد التحذير من السيطرة الإيطالية والصواب تسعى جاهدة لدحض الإدعاءات الإيطالية في أحقية احتلال طرابلس.

فيما يتعلق بمسألة الأمن التي ادعت إيطاليا فقداها بطرابلس، فإن جريدة المشير ترد على ذلك مبينة أنه لم تسجل حوادث تشير الرعب والتخوف، فسكان الولاية يتمتعون بالأمن والراحة والرفاء والاطمئنان³⁰.

26 - الزهرة، 21 نوفمبر 1911.

27 - الاتحاد الإسلامي، 23 أكتوبر 1911، الرب المحاضرة، ظهرت يوم الخميس 19 أكتوبر 1911 وعطلت يوم 8 نوفمبر 1911 بعد صدور ستة أعداد كان آخرها يوم 6 نوفمبر 1911 - أشرف على تحرير الاتحاد الإسلامي الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

28 - الصواب، 3 أكتوبر 1911، الدولة العثمانية وإيطاليا.

29 - الصواب، 6 أكتوبر 1911، الدولة العثمانية وحكومة إيطاليا.

30 - المشير، 8 أكتوبر 1911، إيطاليا والأثان.

بما أن كل العوامل الموضوعية التي تبرر الغزو الإيطالي غير متوفرة مثل الحدود الجغرافية والمصالح الاقتصادية وانعدام الأمن، حاولت جريدة الاتحاد الإسلامي أن تعطي الأسباب الحقيقية لهذه الحرب فأكدت على التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية، ومضاعفات احتلال المغرب الأقصى والتقارب الألماني التركي، وأشارت هذه الصحيفة إلى أن هذه الأسباب غير كافية إلا بضعف دولة الأتراك في البحر، وخطر طرابلس من حصون قوية، وحامية عسكرية قادرة على التصدي للهجمات الخارجية. وكذلك فإن مسؤولية العهد الحميدي الاستبدادي واضحة في أعمال الولايات العثمانية³¹.

ولاحظت جريدة المنير أنه لا يرجد سبب معقول سوى شهوة الفتح والتغلب وإملاك قطر من جسم السلطنة العثمانية³².

من ناحية ثانية استغرقت المنير من ادعاء إيطاليا نشر المذبحة بطرابلس، فتساءلت عن طبيعة هذه المذبحة المتمثلة في سفك الدماء واغتصاب حقوق الغير وسلب أموال الضعفاء؟ والذي أثار أكثر استغراب هذه الجريدة، هو أن كل الملاحظين يؤكدون أن صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا من أكثر بلاد أوروبا جهلا وهمجية وتوحشا³³.

وسبقت جريدة الصواب في إظهار حنقها على هذه الادعاءات القاتلة بنشر المذبحة التي "تسوغ للانسان أن يفترس أخاه الانسان ويأكل لحمه ويصوبّ قتابل مدافعه نحوه كي تنتشر أشلاؤه وتزهق روحه"³⁴.

بهذه التحاليل حاولت الجرائد التونسية أن تبرز الأسباب الحقيقية للغزو الإيطالي للبيبا، وتفنن الادعاءات الإيطالية والذرائع التي اختلقتها لتبرير موقفها أمام الرأي العام الإيطالي والعالمي.

31 - الاتحاد الإسلامي، 2 نوفمبر 1911، أسباب الحرب الحاضرة.

32 - المنير، 8 أكتوبر 1911، المسألة الطرابلسية.

33 - المنير، 29 أكتوبر 1911، الأفكار الخرسية، مظالم إيطاليا.

34 - الصواب، 6 أكتوبر 1911، اشتغال نار الحرب بين إيطاليا وتركيا.

وقد ركزت كل الصحف على إبراز أن إيطاليا هي من الأمم المتأخرة والمتخلفة، ولا تعد ذات قيمة بين الأمم الأخرى، ورغم ذلك فاتها تدعي نشر المدينية "أما إيطاليا فلا يجهل الناس مدينتها وعلومها وثروتها، والتونسيون قد علموا ذلك من رقي ومدنية ضيوقهم الايطاليان"³⁵.

كما أن إيطاليا، حسب جريدة الصواب، آخر الأمم من حيث الرقي والمدنية فليس لها تجربة مع الاستعمار، وهي مثال للفقر والاحتياج "فمن الإيطاليان (كذا) وهم أولئك الجهلاء والطفام والأغبياء بأن يمدنوا غيرهم ويرقوا أسوأهم"³⁶. وتساؤل هذه الصحيفة عن تناسي إيطاليا لجهل وغباوة وفقر أبنائها وهي تدعي نشر المدنية في طرابلس. فكان عليها أولا أن تنشر العلوم بينهم وتوفر حاجيات أبنائها الفقراء³⁷.

وأمام هذا التخلف الحضاري للإيطاليين فليس بإمكانهم أن يمدنوا الشعوب الأخرى "وما كان أحوجها (إيطاليا) إلى طرابلسين يملكون بلادها لتمدينها"³⁸.

وهكذا تمكنت الجرائد التونسية من دحض كل الادعاءات الكاذبة التي اتخذتها إيطاليا ذريعة لتبرير غزوها.

3 - التهجم على سلوك إيطاليا

حاولت الجرائد التونسية أن تتشفي من صنيع إيطاليا فتفتنت في وصفها بشتى النعوت نتيجة لسلوكها الذي اعتبرته "خدشا مشينا للقرن العشرين"³⁹. إذ فاجأت إيطاليا العالم بأسره "بوقاحتها ونذالتها" وأظهرت من "الخفة والنزق" ما يدل على ضعف عقلها وقلة ثقافتها بقوتها. فإيطاليا ليس لها مصالح اقتصادية هامة بولاية طرابلس تدافع عنها. وسرعة إعلان الحرب يدل على خوفها من إبطال التجذات إلى طرابلس.. هذا الضعف ينقص من مرتبة إيطاليا بين مصاف الدول الاستعمارية⁴⁰.

35 - الاتحاد الإسلامي، 27 أكتوبر 1911، قد حان الوقت.

36 - الصواب، 13 أكتوبر 1911، الدولة العثمانية وإيطاليا.

37 - الصواب، 3 نوفمبر 1911، أجهاز العساكر العثمانية ودخولهم طرابلس.

38 - الزهرة، 20 جانفي 1911، اخبار الحرب. وصول الباخرة قرطاج.

39 - المنبر، 10 أكتوبر 1911، المسألة الطرابلسية.

40 - الصواب، أكتوبر 1911، الدولة العثمانية وحكومة إيطاليا.

ومن ناحية أخرى ظهرت إيطاليا بدون "شرف ولا ذمة" إذ في حين أعلن وزير خارجيتها ، مجلس الأمة⁴¹ ، وجوب حفظ كيان السلطنة العثمانية وأن إيطاليا لا تطمع في الاستيلاء على طرابلس ، كانت لجنة الميزانية تعد المعدات وتقدر المصروفات للهجوم على طرابلس. وبينما كان ملك إيطاليا يستقبل بحفاوة ولي عهد السلطنة العثمانية ، كانت البواخر الحربية تستعد للهجوم على طرابلس. فهذا دليل قاطع على فقدان الذمة والشرف وعدم احترام العهود والمواثيق⁴² . وبفقدان أي موجب شرعي للغزو وعدم احترام القوانين الدولية في الحروب⁴³ ، فقد عدت جريدة الصواب هذا الصنيع "لصوصية" ، "ولا بدع في ذلك فإن الإيطاليان فرسان هذا الميدان"⁴⁴ . ولقد وردت كلمة "لصوصية" في كثير من المقالات التي نشرت بالصحافة التونسية من ذلك أن الشيخ عبد العزيز الشعالبي قد أنكر عمل إيطاليا قائلاً: "نحن بوصفنا مسلمين نجاهر بالانكار على إيطاليا ونعد عملها أنضع جناية ارتكبت في القرن العشرين ولا نخشى أن قلنا أن تهجمها على طرابلس يعد لصوصية وخيانة وعارا يلحق الانسانية جمعاء"⁴⁵ وفي نفس العدد من الاتحاد الاسلامي، نعت الشاذلي درغوث الهجوم الايطالي بالخدعة والظلم والعدوان "لأن ما فعلته إيطاليا ظلم محض وجريمة واضحة لا يمكن تأويلها بحال"⁴⁶ .

41 - استدعى وزير خارجية إيطاليا ، أنطونيو دي سان جوليانو ، سفير الدولة العثمانية بروما ليخبر له عن نصائح الرأي العام والتصادم مع التراب الذين يكتهم اتهام الحكومة بالضعف. وعند حصول أزمة بين مجلس النواب والحكومة فإن الحكومة الجديدة ستعمل بكل قوة في انهاء الاحتلال. انظر: كريم، مصطفى: مسألة الحاق إيطاليا لليبيا" (بالفرنسية)، المجلد التاريخي المغاربية، عدد 6، جويلية 1976، ص.ص. 151-179.

KRAÏEM, Mustapha: "La question de l'annexion italienne de la Lybie", in *Revue d'histoire maghrébine*, N°6, juillet 1976, p.p.151-179.

42 - الصواب، 13 أكتوبر 1911 ، الدولة العثمانية وإيطاليا.

43 - حيث أن إيطاليا لم تنتظر رد الدولة العثمانية على التحذار الذي وجهته لها حتى تأخذ قرار الغزو، لأن احتلال طرابلس كان أمرا لا علاقة له بالردمها كان مضمونة.

44 - الصواب، 6 أكتوبر 1911 ، اشتعال نار الحرب بين إيطاليا وتركيا.

45 - الاتحاد الإسلامي، 19 أكتوبر 1911.

46 - الاتحاد الاسلامي، 19 أكتوبر 1911 ، جناية على الانسانية في القرن العشرين.

واعتبرت الصواب صنيع ايطاليا عنوانا من عناوين الغدر والخيانة⁴⁷. وأكدت الزهرة على أنه دليل على سقوط السياسة الإيطالية⁴⁸.

ثم نجد أن الجرائد التونسية قد ركزت على هزيمة ايطاليا أمام الأحباش⁴⁹ لإبراز عجز الإيطاليين في مجال الاستعمار⁵⁰ فليس لشرفها العسكري ذكر غير السقوط⁵¹ وواقعة عدوة⁵²، التي انهزم فيها الإيطاليون، بقيت رمزا للضعف والهوان تغنت بها كل الجرائد التونسية.

يبدو حسب المشير أن إيطاليا قد نسيت هذا الدرس "فكان من الواجب على الخصيصة الذين لا ينسون قطع أعضاء، تناسلهم أن ينبهوا الحكومة لذلك ويذكروها بقول الأحباش: لا تعدوا الحرب الرجال حتى لا تقدم على حرب شعواء، مع أمة هي أشجع بكثير من الأحباش⁵³."

لكل هذه الاعتبارات ينصح عبد الرحمن الصنادلي، صاحب جريدة الزهرة، ايطاليا بالعدول عن مغامرتها وعدوانها والجنوح الى الصلح حتى لا تخسر مصالحها الاقتصادية بطرابلس⁵⁴.

وأكدت الجرائد التونسية على أن صنيع ايطاليا مخالف للعوايق الدولية إذ تجرأت ايطاليا على دوس معاهدتي باريس وبرلين اللتين تعفظان كيان الدولة العثمانية. ثم إن ايطاليا بهجومها السريع على طرابلس لم تلتزم بالقوانين الجارية في الحروب، فكان من واجب ايطاليا أن تنذر بقطع العلاقات ثم يعد ذلك تعلم باشهار الحرب حتى تتمكن الدولتان من الاستعداد للحرب، ولا تأخذ احدهما الأخرى غدرا وظلما⁵⁵.

وقد استغفرت الصواب من موقف الدول الأوروبية⁵⁶ التي سمحت لايطاليا بمخالفة حقوق الدول ونظمها، وتشهر الحرب في ظرف أربع وعشرين ساعة دون أن تفتح باب المذاكرة، وتحاصر طرابلس بصفة

47 - الصواب، 27 أكتوبر 1911، ثلاثة عشر ألف جندي ايطالي اندمروا ببغازي، برق خلب.

48 - الزهرة، 29 أكتوبر 1911، ثوبه ايطاليا.

49 - كان انهيار آمال ايطاليا في أثيوبيا سببا لأن تولي وجهها مرة أخرى نحو شمال أفريقيا وأخذت نغمة الغنى بطرابلس تعود إلى الشهور.

50 - الزهرة، العدد السابق.

51 - حدثت المعركة الفاصلة بين الأحباش والإيطاليين في شهر مارس 1896 في عدوة وهزمت فيها القوات الإيطالية هزيمة ساحقة.

52 - الشهر، 5 نوفمبر 1911، الانتصار العظيم والانتكاس الحسيم وقرار الأسطول الايطالي.

53 - الزهرة، 21 نوفمبر 1911، الحاق طرابلس.

54 - الشهر، 15 أكتوبر 1911، الأحوال الإسلامية بطرابلس وايطاليا.

55 - انظر النقص بصحفة 15 هامش (2).

غير شرعية ودون فتور في العلاقات بين الدولة العثمانية وإيطاليا⁵⁶. ووصفت سلوك إيطاليا بكونه فاسداً إذ أنها تجرأت على نكث العهود وعدم مراعاة حقوق الدول⁵⁷.

وذُكرت جريدة الاتحاد الإسلامي بخيانة إيطاليا لفرنسا⁵⁸ ووصول الحلف الثلاثي لشمال أفريقيا. وكأنني بحرر هذا المقال يريد تحسيس فرنسا بخطورة إيطاليا ووجوب التصدي لها. كما يلوم فرنسا على عدم تدخلها لمعاونة تركيا أو الصلح لحقن الدماء، مؤكداً على خطورة مجاورة إيطاليا⁵⁹.

4 - إبراز قوة الدولة العثمانية وتضامن التونسيين معها .

لمُقدّر ماحاولت الجرائد التونسية أن تبرز الانحطاط الحضاري والضعف العسكري لإيطاليا، بقدر ما أشادت بقوة الدولة العثمانية العسكرية والمعنوية. وركزت خاصة على تعاطف كل المسلمين مع السلطان العثماني واستعدادهم للتضحية من أجله.

تقول الصواب أن الدولة العثمانية قد عرفت بعظمتها وقوة جيشها ورسالتهم وأنضباطهم مما سيمكنها من الوقوف أمام الغزو الإيطالي⁶⁰، وهي دولة لاتخاف الحرب ولا الموت "خصوصاً إذا كان من ورائه أعلاء منار الدولة وحفظ بيضة الوطن المقدس، وبالأحرى الإسلام قاطبة"⁶¹. ولكن رغم ثقافتها بقوتها فإن الدولة العثمانية تحب السلام وتنفر من الحرب وسفك الدماء، غير أنها لا تسمح في عهدها الجديد⁶² - حفظاً لشرفها - بضياح أي جزء منها⁶³، خاصة إذا كان هذا الجزء طرابلس الغرب وهي آخر معقل يبقى تحت سيادة الإسلام في أفريقيا. فإن ذهب فسلام على الدولة وسلام على القوة وسلام على الاستقلال ... لكن

56 - الصواب، 6 أكتوبر 1911، اشتعال نار الحرب بين إيطاليا وتركيا .

57 - الصواب، 13 أكتوبر 1911، مائة ألف رجل ينودون على طرابلس.

58 - ساهمت فرنسا بقمط كبير في توحيد إيطاليا (1859-1870)، لكنها... ناقص انظر هامش ص 15 رقم 5).

59 - الاتحاد الإسلامي، 23 أكتوبر 1911، جنابة على الإنسانية.

60 - الصواب، 3 نوفمبر 1911، اجهاز العساكر العثمانية ودخولهم طرابلس.

61 - الصواب، 27 أكتوبر 1911، 13 ألف جندي اندحروا روا بينغازي.

62 - يقصد حكومة الاتحاد والشرقي التي تولت السلطة اثر الانقلاب الدستوري سنة 1909 .

63 - المنبر، 8 أكتوبر، المسألة الطرابلسية.

هذا لن يحصل لأن السلطنة العثمانية لا تفرط فيه⁶⁴.

ومن ناحية أخرى فإن مسلمي شمال أفريقيا يعتبرون طرابلس الغرب "مكة المكرمة أو المدينة المنورة لأنها تدين بالسلطة لحامي الحرمين الشريفين والذائد عن قبر محمد صلوات الله عليه"⁶⁵. ولهذا فإن إعتداء إيطاليا على طرابلس الغرب هو إعتداء على الدولة العلية وبالتالي على ثلاثة مائة مليون مسلم يجلبون - حسب جريدة الصواب الخلافة ويقودونها بالمهيج والأرواح ، إذ لا يوجد مسلم على وجه الأرض لا يقدس مقام الخلافة العثمانية تقدسا لا يقل على تقدس كل أروباوي مقام البابوية⁶⁶.

وفي نفس الاتجاه أكدت جريدة الاتحاد الاسلامي على تعلق كل المسلمين بالخلافة العثمانية ومناصرتهم لها. فالخليفة العثماني هو خليفة كل المسلمين ولذلك فمن اعتدى عليه فقد آتدى على كل المسلمين وداس شرفهم. "ولا يستغرب الأوروبيون إذا رأوا قلوب المسلمين ترفرف بأجنتحتها حول هذا العرش فزعما مما أصاب الدولة من اعتداء إيطاليا على طرابلس، وعدوا عدوانها جناية لا تغتفر، ورأوا فيه دوسا لشرفهم واهانة عمومية يلحقهم عارها جميعا"⁶⁷.

وأشارت "لوتريان" (التونسي)⁶⁸ إلى أنه رغم مساهمة التونسيين والجزائريين في سيطرة فرنسا على المغرب الأقصى، فإنهم ثاروا ضد الغزو الإيطالي لأنه نال من حرمة السلطان العثماني، وأن من اعتدى عليه فقد آتدى على الاسلام ذاته⁶⁹.

ليس هذا شعور التونسيين والجزائريين فقط بل هو شعور كل المسلمين لأنهم يعتقدون أن كل يد تمتد بالأذى لدولة الخلافة يد عدو لدود، وإيطاليا المعتدية على دولة الخلافة هي عدوة كل المسلمين الذين عبروا عن ولائهم ومعاضدتهم للخليفة العثماني "لم يرو لنا التاريخ أن الأمم الاسلامية اتحدت مع دولة الخلافة

64 - الاتحاد الاسلامي، 23 أكتوبر 1911، انعطاف المسلمين نحو الدولة العلية.

65 - الاتحاد الاسلامي، 19 أكتوبر 1911، كلمة عن طرابلس الغرب.

66 - الصواب، 5 أكتوبر 1911، الحرب الحاضرة والرأي العام التونسي.

67 - الاتحاد الاسلامي، 19 أكتوبر 1911، فاتحة الجريدة.

68 - "لوتريان" : هي صحيفة فرنسية اللسان أصدرها علي باشا حانبه. سنة 1907 (711 قيفري). وهي لسان حال الأهالي وكانت الناطق الرسمي لحركة الشباب التونسي. صدر أمر بتعطيله يوم 13 مارس 1912 إثر مقاطعة الترامواي.

69 - Le Tunisien، 4 janvier 1912.

كاتحادها هذه الأيام واعتصامها مبدأ الوحدة الإسلامية الذي هو الملجأ الوحيد لوقاية دولة الاسلام من عبث واعتداء الحكومات الأوروبية⁷⁰. وانعطاف المسلمين تجاه الدولة العثمانية يفسر وجود الجامعة الاسلامية والرابطة الدينية، اذ بقي المسلمون محافظين على الحبل المتين الرابط لقلوبهم وعواطفهم والدليل على ذلك تحمسهم الشديد لمسألة طرابلس الغرب⁷¹.

من خلال هذه المواقف أرادت الجرائد التونسية أن تؤكد بكل وضوح على انتماء التونسيين للجامعة الاسلامية، وقسكهم بالخلافة العثمانية رغم خضوعهم السياسي لحماية فرنسا. وبدفعنا هذا المنحى الديني الذي اتبعته الصحف التونسية الى التساؤل عن مدى تأثير السياسة الاسلامية التي توخاها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، يدعوته الى الجامعة الاسلامية؟ وعن مدى نجاح فرنسا في طمس الهوية العربية الاسلامية للتونسيين بعد ثلاثين سنة من الاستعمار؟

5 - تأكيد الصحف التونسية على ولا. التونسيين لفرنسا

رغم إنتمائهم للجامعة الاسلامية وتقديسهم لمقام الخلافة العثمانية بينت الجرائد التونسية إن التونسيين يعترفون بخضوعهم السياسي لفرنسا⁷². إذ ليس هناك تناقض في ذلك فالفرق شاسع من الشعور الديني والإنتماء والسياسي فالتمسك بالوحدة الاسلامية لا يقصد منه إحداث عاطفة سياسية ضد حكومة الحماية⁷³.

مقابل هذا الولاء ترى الاتحاد الاسلامي، أنه يجب على فرنسا العاملة على امتلاك قلوب المسلمين، أن تنهض الفرصة وتعجل ببذل يد المساعدة للدولة العثمانية⁷⁴ لأن مساعدتها ستبقى دينا في رقية كل مسلم يضاعفه عند الوفا⁷⁵.

70 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911، الدولة العثمانية بين الظفر وانعطاف المسلمين.

71 - الشير، 15 أكتوبر 1911، طربش وابطاليا.

72 - الاتحاد الاسلامي، 19 أكتوبر 1911، فاتحة المبردة.

73 - الاتحاد الاسلامي، 23 أكتوبر 1911، انعطاف المسلمين نحو الدولة العلية.

وقد استغل التونسيون حادثة الباخرتين الفرنسيتين "قرطاج" و"منوبة"، اللتين احتجزتهما البحرية الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط في شهر جانفي 1912⁷⁴، لإبراز تضامن التونسيين مع فرنسا إذ أصبح كل عمل مشين ضد فرنسا في نظر الأهالي ينعكس بالضرورة سلبيا على التونسيين⁷⁵. ووضحت جريدة "لوتزيان" (التونسي) أن ولاء التونسيين لفرنسا غير مشروط، وكذبت الإشاعات التي تريد زرع الشقاق بين فرنسا والتونسيين الذين هتفوا بحياة فرنسا وتركيا عند وصول الباخرة "قرطاج" الى ميناء تونس⁷⁶.

ولئن كانت هذه الأحداث لا تبرز بصورة واضحة تعلق التونسيين بفرنسا، لأنها كانت ضد إيطاليا، التي تعتبر في تلك الفترة عدوهم الأول، فقد ذكرت الصحافة التونسية بمشاركة التونسيين في بسط نفوذ فرنسا على المغرب الأقصى وكانوا خبر سند لها في محاربة المغاربة "على أن فرنسا تعد من الدول الاسلامية لما لديها من الرعايا المسلمين وهي في حاجة كبيرة الى مصانعهم خصوصا وقد قاتلوا مع عساكرهم جنبا لجنب اخوانهم في الدين اظهارا لاخلاصهم"⁷⁷.

ولهذا يعبر التونسيون عن إستيائهم من تغافل بعض الفرنسيين عن الأعمال التي قدموها لهم، وتنحى جريدة "لوتزيان" (التونسي) باللائمة على فرنسا لأنها حجرت صدور الجرائد العربية⁷⁸ وسمحت بدخول الجرائد الإيطالية المعادية للمسلمين⁷⁹.

74 - كانت الباخرة قرطاج تحمل على منبتها بعثة الهلال الأحمر العثماني فتعمدت البحرية الإيطالية إحتجازها مدعية أنها تحمل ضباط عثمانيين.

75 - لوتزيان 25 جانفي. 1912 .

76 - لوتزيان 8 فيفري 1912

77 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911 ، أحيائية الإيطالية بتونس.

78 - كان ذلك يوم 8 نوفمبر 1911 إثر حوادث الزواج.

79 - Le Tunisien, 23 Novembre 1911

لفرط تعلق التونسيين بفرنسا، واعتبارها دولة إسلامية من حيث عدد المسلمين الذين كانوا تحت نفوذها، كانت الجرائد التونسية تنتظر من فرنسا التدخل لايقاف الحرب أو مساعدة تركيا. وقد لامت الصواب فرنسا عن موقفها السليبي تجاه الدولة العثمانية⁸⁰ بينما أكدت الاتحاد الإسلامي على متانة العلاقة بين فرنسا والتونسيين "لأنها دولة علم وعمل ومدنية"⁸¹.

ربما يدخل هذا التأكيد على الولاء لفرنسا في إطار الصراع مع المتفوقين من ناحية والاطاليين من ناحية أخرى، كما يؤكد على طبيعة حركة الشباب التونسي التي كانت تدعو إلى الإصلاحات في إطار الحماية الفرنسية.

6 - المعركة الصحفية.

كانت الجرائد التونسية في صراع مع الصحف الغربية الصادرة بأوروبا والصحف الفرنسية والإيطالية الصادرة بتونس خاصة "لاتونزي فرانساز" (La Tunisie Française)، "والديش تونزبان" (La Dépêche Tunisienne)، و"لونيوني" (L'Union). لقد تميزت الزهرة بتقلها يوميا لمقالات الجرائد الغربية أو التركية. واهتمت عملية الترجمة خصوصا بالمقالات المتعاطفة مع الدولة العثمانية مثل المقال الذي نقلته عن جريدة "الطائر" (Le Temps) الباريسية بعنوان "إيطاليا وطرابلس الغرب" إذ أبرز هذا المقال الخلفيات التاريخية للمطامع الإيطالية في طرابلس الغرب، فذكرت بالساعي الديبلوماسية الإيطالية ومذكراتها مع ألمانيا وفرنسا وجملة الاتفاقيات مثلما حصل بين فرنسا وإيطاليا سنتي 1900 - 1902، حيث أنفتحتا على الاعتراف المتبادل بالمصالح الخصوصية بالمغرب الأقصى وطرابلس الغرب. وتساءلت جريدة الطائر عن تزامن الغزو الإيطالي مع بلوغ فرنسا مقاصدها في المغرب الأقصى، فهل هو نتيجة سياسة تركيا في طرابلس أم مجرد صدفة؟

وقد تبنت جريدة الزهرة مانتبأت به جريدة "الطائر" حول الصعوبات التي ستجدها إيطاليا في طرابلس الغرب: "أنا لا ننكر مع ذلك أن إيطاليا إذا صممت على إتمام مقاصدها، تسلك طريقا وعرة تترصدها فيها صعوبات كثيرة، بدليل أن فرنسا تكايد الآن في المغرب الأقصى منذ عشر سنين، مشاق نشر السلطة

80 - الصواب، 6 أكتوبر 1911.

81 - الاتحاد الإسلامي، 27 أكتوبر 1911، قد حان الوقت.

الأروبية في وقتنا الحاضر على البلاد الخارجة عن المسيحية. فإذا لم يلاق الطليان نفس تلك المشاق التي لقيناها، فإنهم سيلاقون بلا شك عراقيل أخرى ليست بأسهل تذليل⁸².

ولئن ارتضت الزهرة هذه الأفكار فإنها استاءت من رأي جريدة "الطان" حول سياسة حكومة الاتحاد والترقي، فقالت الزهرة: "وفي الختام محاملت "الطان" على تركيا الفتاة وانتقدت السياسة التي سلكتها حكومتها الدستورية⁸³.

ودأبت الزهرة على هذا المنوال واسترسلت في نقل كل المقالات المتعاطفة مع الدولة العثمانية وتقد كل الاخبار المعادية لها. وكذلك الشأن بالنسبة للصحف التونسية الاخرى، فقد واجهت بالنقد كل الجرائد الموالية للغزو الايطالي وحاولت أن تجعل من أختارها مجرد افتراءات ليس لها أساس من الصحة.

فقد طعنت جريدة الصواب في الأخبار التي تنقلها جريدة "لاديبش تونزيان" التي عبرت عن مبلها للايطاليين ولم تحترم في ذلك شعور مليون ونصف تونسي، إذ كانت تنيع بكل دقة أعمال الايطاليين بطرابلس الغرب وتنشرها كل صباح متبجحة بمناصرتها لايطاليا "الاخت اللاتينية" وشماتها في الدولة العثمانية لتحصل على رضا الايطاليين. ولهذا تقول الصواب كان من واجب "لاديبش تونزيان" أن لا تحرج عواطف التونسيين المخلصين للدولة العثمانية بتلك العناوين الضخمة التي تمثل الطيش والرعونة وقلة الثقة بايطاليا نفسها⁸⁴.

وعبر الشيخ عبد العزيز الشعالبي في فاتحة الاتحاد الاسلامي عن استياء التونسيين من الجرائد الفرنسية التي تناست أنها تطيع في بلاد اسلامية وتهاجم العثمانيين، الذين هم مسلمون مثل التونسيين، وتحيز للإيطاليين. ويرى أن السبب في هذا السلوك راجع للسياسة التركية الأوروبية حيث تنكرت تركيا لفرنسا ومالت أكثر لألمانيا؛ لكن يتساءل الشعالبي بصفة انكارية "أيهما أنكى على الأمة الفرنسية ياترى الحليف (ايطاليا) أو الودود (تركيا)"⁸⁵. ورجا من الصحف الفرنسية عدم كتابة عناوين جارحة لقلوب التونسيين مثل "خيانة الأتراك". وعابت جريدة الاتحاد الاسلامي في كل أعدادها تقريبا على الصحف

82 - الزهرة، 1 أكتوبر 1911. ايطاليا وطرابلس الغرب.

83 - نفس العدد.

84 - الصواب، 13 أكتوبر 1911. مزاعم "لاديبش تونزيان".

85 - الاتحاد الاسلامي، 19 أكتوبر 1911. فاتحة الجريدة.

الفرنسية - مثل زميلتها الصواب- مؤازرتها لابطاليا وخاصة "لاديش توتزيان".

وأكدت المشير في عددها الصادر يوم 15 أكتوبر 1911 ، أن أغلب الصحف في جميع الأقطار تندد بسلوك ايطاليا ماعدا الصحف المتحاملة على الاسلام مثل الصحف الفرنسية الصادرة بتونس⁸⁶ . اذ أظهرت هذه الصحف استحسانا لصنيع ايطاليا ضد الدولة العثمانية ويفسر هذا الموقف بجواز هذه الصحف للظلم والعدوان مادام الاعتداء صادرًا عن المسيحيين ضد المسلمين⁸⁷.

حاولت الصحف الفرنسية من جهتها الطعن في كل الأخبار التي تنشرها الصحف الأروبية والاطيالية بصفة خاصة، مؤكدة أن الأخبار التي تنقلها الصحف الفرنسية الصادرة بتونس، هي كاذبة لأن ايطاليا اعتادت منذ نشوب الحرب تعليق الأخبار الكاذبة لتعملاً بها أعمدة جرائدها⁸⁸ التي تحاول أن تطف من الأخبار السبئة المتعلقة بهزائم الايطاليين، بل أكثر من ذلك فقد افترت على الجنود والقواد العثمانيين أقوالا ليس لها أساس من الصحة كقولها : "أن كثيرا من الضباط الأتراك قد فروا الى تونس" و "أن العرب يحبوننا ويبغضون الأتراك"⁸⁹.

ولا حظت جريدة الزهرة أن هذه الأخبار الزائفة كان الهدف منها تهدئة روع الايطاليين " وهذا ما يفسر ارسال ايطاليا ل 600 مواطنا من طرابلس لتزيد اخبارها الكاذبة"⁹⁰.

وتولت جريدة " لوتزيان" (التونسي) الرد على جريدة " الهاتري" (La Patrie) الفرنسية، التي وصفت اللبيين الذين أعدمتهم الجيوش الايطالية "بالخونة" و "العصاة" مشائلة عن فحوى هذه الكلمات التي وصف بها رجال يدافعون عن بلادهم، رافضين الخضوع والانصياع الى الأجنبي، هؤلاء كانوا يعيشون آمنين لا يهددون انسانا ولا يطلبون العون من أي كان. ويدون سبب يتعرض بلدهم الى غزو عسكري يقتل الصغار والنساء ويحطم ويحرق المنازل والواحات. فهل من يدافع عن وطنه يتعت بالتمرد

86 - المشير. 15 أكتوبر 1911 . الأحوال الاسلامية. طرابلس وإيطاليا.

87 - المشير. 21 أكتوبر 1911 . الصحف الفرنسية المحلية.

وقد استغل الطبيب بن عيسى مدير "الجريدة هذه الفرصة للدمرة الى الوحدة الاسلامية ونيل البادئ الخلافة مثل الاشتراكية.

88 - الاتحاد الاسلامي. 27 أكتوبر 1911 . وما أفة الاخبار الا روايتها.

89 - الصواب. 27 أكتوبر 1911 . 13 ألف جندي ايطالي يندحرون بهنغازي

90 - الزهرة. 29 أكتوبر 1911 . قويه ايطاليا.

والعصيان⁹¹.

واصلت جريدة علي باش حانية مهمتها - في تنقية أخبار المصادر الأجنبية من بينها ما أورده الجريدة الإيطالية لامتاليا (LA STAMPA) ومفاده أن مراسل التاييز قد ذكر أنه وجد مضايقة من الطرف التركي أثناء أداء مهنته الصحفية، وأن الجيش التركي في حالة بأس، وتقتصر الحرب على نشأة باشا الذي حاول جمع الشتات بعد انتشار الفوضى وهروب العرب الذين تضرروا من الكوليرا، فأكدت "لوتنيزيان" أن مراسل التاييز الموجود بتونس يكذب كل ما ورد في الجريدة الإيطالية بل يذكر أنه وجد كل الاحترام وحسن المعاملة والقبول الحسن والمساعدة في أداء مهنته، ويشيد بخصال القادة الأتراك ويعتبرهم من أحسن القادة⁹².

7 - نقد تصرفات الإيطاليين بتونس والمطالبة بمقاطعتهم.

اثر عملية الانزال بالسواحل الليبية ووصول الأخبار المسجلة لانتصارات الجيوش الإيطالية، أظهر بعض رعايا الإيطاليين خفة وعجرفة "لجاء الأهالي حيث نبأها بانتصار دولتهم الى حد أن جريدة "اللينبوني" السائدة للغزو قد حذرتهم من هذا الطيش⁹³.

وذكرت جريدة المشير هذا التفاخر الذي تظاهر به الإيطاليون أمام المسلمين والطرابلسيين المقيمين بتونس مدعين أنهم أصبحوا أسبادا وغيرهم عبيدا كما كانوا يتفوهون بكلمات تصم الأذان كتهكمهم على الخلافة الإسلامية، حتى أن وكيل قنصل إيطاليا تقدم بالنصيحة للجالية الإيطالية وحثها على الابتعاد عن هذا السلوك المشين، وطالبت المشير من حكومة الحماية صد المعتدين وحذرتها من صفة تعفن العلاقات بين الأهالي والإيطاليين⁹⁴.

في هذا الإطار أوردت جريد "لوتنيزيان" ما أثاره أحد المثقفين التونسيين للجريدة الباريسية "باري جورنال" (PARIS JOURNAL) من تصرفات عدائية مثل تباهي الإيطاليين بالشفوق والكبرياء إذا،

91 - اللوتنيزيان بتاريخ 21 ديسمبر 1911.

92 - اللوتنيزيان، 8 فيفري 1912.

93 - الصواب، 13 أكتوبر 1911، الجالية الإيطالية بتونس.

94 - المشير، 15 أكتوبر 1911، الإيطاليون بتونس.

الأهالي. وفي آخر حديثه طالب الحكومة بوضع حد لقدوم الايطاليين والمالطيين الغير مرغوب فيهم⁹⁵. ويرى عبد العزيز الشعالبي أن تصرفات الايطاليين مثل التحرش بالمسلمين وانتقاص عظمة الاسلام وشتم الأتراك هي دليل على أنهم حشالة من المرتزقة لا يقام لهم وزن، ولكن الغريب في الأمر هو أن هذه الأعمال صادرة عن التجار والأطباء والصيدلة والمحامين والمفاولين الذين يعيشون من فضلات المسلمين ويأكلون من دمائهم. وعبر الشعالبي عن نيهذه للاستفزاز الصادر عن جريدة "الليتيوني" التي طلبت من الحكومة الفرنسية قطع العلاقات بين طرابلس والبلاد التونسية ومنع مرور العثمانيين من الحدود⁹⁶. ويتساءل أحمد الصافي⁹⁷ وهل أن تونس محمية فرنسية أم إيطالية لأنه قد لا حظ أن الجالية الايطالية أصبحت تمثل "دولة داخل دولة" وها هم يتصرفون بكل كبرياء وصلف بل وصلت بهم الجرأة أن طالبوا فرنسا بأن تتصرف بطريقة معينة مع الأهالي.

وذكر صاحب المقالة بمعاودة باردو، حيث لا يوجد فيها أن لإيطاليا الحق في التدخل في الشؤون الداخلية والعلاقات بين فرنسا والأهالي، ولهذا أصبح واجبا على فرنسا أن تضع حدا لهذا السلوك⁹⁸. وأشارت الاتحاد الاسلامي الى تأثر التونسيين من دعوة الايطاليين لمواطنيهم الى التطوع وخاصة سعيهم لجمع المال بشتى الوسائل، اذ طلبوا الإعانات حتى من المسلمين "نحن لا نلوم الايطاليين في اخلاصهم لأمتهم وانما كان عليهم أن يجاملوا المسلمين في بلادهم ولا بتطيشوا معهم الى هذا الحد مع أنهم لا يجهلون أن المظاهرة بذلك يخلق خواطر المسلمين⁹⁹."

رغم هذه التصرفات فقد دعت جريدة الاتحاد الاسلامي الى عدم الاساءة للإيطاليين، لكن رأت من الواجب عدم مساعدتهم بشيء من أموال المسلمين التي تحصل لهم من خلال المعاملات التجارية والخدمات لأن الأجرة التي يدفعها المسلم الى الطبيب الإيطالي فيها نصيب من الاعانة لايطاليا والأدوية التي

95 - الفونيزيان بتاريخ 4 جانفي 1912.

96 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911، الجالية الايطالية بتونس.

97 - من الشباب التونسي وقد برز خاصة نقابة الحرب العالمية الاولى حيث تولى الكتابة العامة للحزب الحر التوسوري التونسي سنة 1920.

98 - الفونيزيان بتاريخ 25 جانفي 1912.

99 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911، سعي الجالية الايطالية لاعانة دولتهم بتونس.

يشترونها من الصبدي الايطالي يعطى جانب من ثمنها لايطاليا" ¹⁰⁰ ولهذا تطلب الاتحاد الاسلامي من التونسيين أن يقتصر تعاملهم مع الأطباء والصيادلة الفرنسيين فقط لأنهم حلفاء وشركاء التونسيين في البلاد، كما يتحتم على التونسي عدم شراء البضائع الإيطالية ولو بصفة غير مباشرة ¹⁰¹.

هذه الدعوة الى مقاطعة الايطاليين وردت من قبل بطريقة محتشمة في جريدة الصواب التي طالبت التونسيين بقطع العلاقات مع الايطاليين حتى لا يؤدي الاحتكاك بين الطرفين الى النزاع ¹⁰².

واستغلت جريدة الاتحاد الاسلامي مقاطعة أهالي قابس للتجار الايطاليين لتحمل مسؤولية تلك المقاطعة للايطاليين "نعم انه وقع نفور بين المسلمين والايطاليين قد لا يزول حتى بعد الحرب الحاضرة ومنشأ ذلك كله نتيجة الايطاليين واظهارهم النكاية بدولة يعتبرونها اعتيارا دينيا" ¹⁰³.

وهكذا فان تجاوزات الايطاليين وتصرفاتهم الغريبة هي التي دعت الصحف التونسية الى طلب مقاطعتهم في جميع الميادين وقد وعدت الاتحاد الاسلامي قراءها بقائمة الأطباء والصيادلة الفرنسيين الذين يمكن أن يعوضوا نظرائهم الايطاليين، لكن قرار تعطيل الجرائد العربية التونسية حال دون ذلك.

ان هذه الدعوة الملحة لمقاطعة الايطاليين ستثمر خاصة بعد الاصطدامات التي شهدتها مدينة تونس بين التونسيين والجالية الايطالية.

8 - أخبار الحرب

لا نريد من خلال هذا الفصل التوقف على حقيقة الانتصارات والهزائم ¹⁰⁴، ولكن نريد أن نبرز التحيز الكامل للصحف التونسية الى الجانب التركي العربي، اذ سعت الى تكذيب كل الأخبار التي تقول بانتصارات الايطاليين مهما كان مصدرها وتقنيدها اعتمادا على المكاتبات المخصوصة والمراسلين الحربيين

100 - نفس المصدر.

101 - نفس المصدر.

102 - الصواب، 13 أكتوبر 1911.

103 - الاتحاد الاسلامي، 27 أكتوبر 1911، قد حان الوقت.

104 - حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا الطبعة الثانية - بيروت، دار

أمثال البشير الفورتي¹⁰⁵، وتصريحات القواد العثمانيين وما تذكر الصحف الأجنبية من انتصارات عثمانية.

بما أن جريدة الزهرة هي الوحيدة التي تابعت أطوار الحرب من البداية الى عقد الصلح فقد أعطت يومياً تفاصيل عديدة حول الوقائع الحربية فأوردت يوم 11 أكتوبر 1911 خبر أول هزيمة إيطالية أمام التضامن العربي التركي حيث كان الوطنيون متحدين في الدفاع "عن ملتهم ووطنهم وشرف الدولة العلية"¹⁰⁶.

وفي نفس العدد نشرت تصريحات فتحي بك، رئيس أركان الحرب بطرابلس الغرب، لتؤكد توفر الذخيرة الحربية والأسلحة والعساكر النظاميين والأهالي المتطوعين.

وأشارت الصواب الى تواصل المدد ووفرة الذخائر والمقاتلين الذين بلغ عددهم مائة ألف بدافعون عن طرابلس الغرب¹⁰⁷ وهذا ما يفسر هزيمة إيطاليا التي لم تريح في ميدان القتال "سوى دماء مهدورة وجنود مأسورة وأمهات ثكالي وأبناء بشامى وأخوات وعمات قد منهن الساعد وقل الساعد". ثم ان إيطاليا لم تستطع أن تتجاوز مدينة طرابلس فقد أصبح جنودها شبه مساجين. وفي درنة باثت جنود الايطاليين تتقلب على فراش الآلام والموت المعجل، طعامها قتابل الأتراك وبارود بنادق العرب البواسل¹⁰⁸.

رغم أن إيطاليا كانت تتصور أن عملية الغزو ستكون مجرد نزهة حربية غير أن الواقع أبان لها فساد تلك المزاغم نظرا لصمود المقاومة وحب التضحية¹⁰⁹.

وعبر الثعالبي عن غبطة المسلمين بانتصار العثمانيين واستلاتهم على حصون طرابلس بعد أن أطردها منها¹¹⁰.

105 - البشير الفورتي من مواليد عام 1882 أصدر عدة جرائد مثل التقدم وولد البلاد، وراسل العديد من الصحف حضر بداية

الحرب بطرابلس، ثم انتقل الى تركيا في مهمة كلفه بها علي باشا حانية، توفي سنة 1954.

106 - الزهرة، 11 أكتوبر 1911، الحرب العثمانية الايطالية.

107 - الصواب، 13 أكتوبر 1911.

108 - الصواب، 27 أكتوبر 1911، 13 ألف جندي إيطالي اندمروا ببغازي.

109 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911، على الباغي دور الدوائر.

110 - الاتحاد الاسلامي، 6 نوفمبر 1911، انتصار العثمانيين.

مقابل هذه الانتصارات العثمانية والعربية ارتكبت إيطاليا في هذه الحرب كل رذيلة اذ قتلت النسوة وهدمت المنازل وغرقت سب مائة طرابلسي أعزل¹¹¹.

على عكس ذلك شهد كل الملاحظين بحسن معاملة الأتراك للأسرى الإيطاليين¹¹².

وقد ركزت جريدة " لوتيزيان " على الأعمال الوحشية التي ارتكبتها الإيطاليون ضد الأطفال والنشوخ مكذبة الأخبار القائلة بتمثيل الأتراك بجثث الإيطاليين¹¹³.

واصلت الزهرة في ذكر تفاصيل الوقائع الحربية لتؤكد الفوز العثماني العربي على إيطاليا واعتبرت مسألة إلحاق طرابلس صورية لأن إيطاليا " باغت الذب قبل قتله "¹¹⁴.

ان هذه الأخبار التي نقلتها الجرائد التونسية لا تدع مجالاً للشك، -بالنسبة للقارئ- في الانتصار النهائي للدولة العثمانية التي أصبحت في موقف قوة مما يستوجب على إيطاليا أن تعطي تعويضات للخسائر المادية والبشرية ان أرادت الصلح¹¹⁵.

وكثيرا ما تعتمد الجرائد التونسية نشر المكائيات الخصوصية المتعلقة بالانتصارات العثمانية مثل مكاتبة سليمان الباروني¹¹⁶ التي تحدثت عن الانتصارات المتتالية في معركة قصر الهاني¹¹⁷. ونقلت الزهرة عن جريدة الطان واقعة قرقارش التي تفهقر فيها الإيطاليون أمام هجوم الأتراك والمجاهدين العرب¹¹⁸.

111 - الزهرة، 24 أكتوبر 1911.

112 - لوتيزيان بتاريخ 25 جانفي 1912.

113 - لوتيزيان بتاريخ 23 نوفمبر 1911.

114 - الزهرة، 24 نوفمبر 1911.

115 - الزهرة، 24 أكتوبر 1911، بلذا يمكن إبرام الصلح.

116 - نائب طرابلس في مجلس المبعوثان الذي عاد الى طرابلس أثناء الحرب وظل بها حتى إبرام معاهدة الصلح ثم انتقل الى تونس ومنها الى تركيا.

117 - الزهرة، 6 جانفي 1912، مكاتبة خصوصية.

هذه المكاتبة أرسلها سليمان الباروني الى سليمان الجهادي، مدير جريدة مرشد الأمة.

118 - الزهرة، 31 جانفي 1912، نفاسيل واقعة قرقارش.

ولما تأكد احتلال الإيطاليين لبنغازي ودرنة وطبرق نشرت الزهرة مراسلة خصوصية نقلتها عن جريدة الأهرام المصرية من المكاتب الحربي التونسي محمد الصالح الشواشي، مفادها أن الاحتلال كان بدون مقاومة تذكر إذ تخلى الأهالي عن هذه المدن قبل دخول الجيوش الإيطالية ثم لما حاولت هذه الجيوش احتلال ضواحي مدينة بنغازي؛ فاجأتها القبائل والسادة السنوسيون فاكتسحوهم عن آخرهم في معركة تجلّى فيها للعيان اضطبار العرب وشدة الجرأة والشجاعة اللاتي كأنها لم تخلق الا لتتخلّى بها نفوسهم الطاهرة وأجسادهم الشريفة¹¹⁹.

وأمام هذه الاستماتة التي أظهرها الأهالي في مواجهة الجيوش الإيطالية ترى جريدة الزهرة أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن توافق الدولة العثمانية على الحاق طرابلس الغرب، ولو فرضنا أنها ستتخلّى عن الدفاع عن الطرابلسية فإنها تعرض عظمئها للضباع ونفوذها الأدبي للزوال ووحدتها السياسية للتلاشي خاصة بعد وصول المتطوعين من مصر والجزيرة العربية¹²⁰.

وكثيرا ما سخرت الزهرة من الوسائل المستعملة في الحرب مثل الأوراق التي ترسل بواسطة المناطيد لاستمالة المجاهدين حتى يكفوا عن المقاومة واعتبرت هذه الأعمال دليلا على السذاجة والحماقة، مؤكدة على صمود المجاهدين العرب واستماتتهم في الدفاع عن الولاية العثمانية. ولهذا لا يمكن قبول الصلح الا لفائدة الدولة العثمانية المنتصرة، خاصة وأن الطرابلسية عازمون على الجهاد الى آخر لحظة من حياتهم¹²¹.

وقد تولت الزهرة تكذيب أخبار الصلح التي ما فتئت تنشرها الجرائد الإيطالية، فيقول عبد الرحمان الصنادلي: "من المحال أن ترضى الدولة العثمانية ببيع ولايتين إفريقيتين وتسلم أهلها للطلليان لأن مع كونه لا يلائم مقام الخلافة الاسلامية ولا يشرف دولة عظيمة، فانه مما يؤول الى تقلص ظل سلطتها من جميع الممالك العربية - لا سمح الله-"¹²².

119 - نفس العدد، مراسلة خصوصية.

120 - للزهرة، 11 ماي 1912، رأي الحكيم العثماني جورج سامبني في الحرب.

121 - للزهرة، 12 ماي 1912، سذاجة الطليان.

122 - للزهرة، 26 سبتمبر 1912، الخيال الطليان.

وظلت جريدة الزهرة لا تتصور عقد الصلح لفائدة إيطاليا. ولما تم ذلك كتبت تقول "كان لا يغلب على الظن أن تركيا لا تجنح لمصالحة حكومة مغلوية"¹²³ أذن فالبرغم من انعقاد الصلح بقيت الزهرة تعتقد أن إيطاليا هي المنهزمة في الحرب الطرابلسية.

وقد حاولت هذه الجريدة أن تُعيد أعذاراً للدولة العثمانية إذ ذكرت أن الدولة عملت بمقتضى مصلحة هي أدرى بها من غيرها، إذ أنها لا تستطيع مواجهة ثورات الشعوب البلقانية في نفس الوقت مع الحرب الإيطالية "ولو كانت (إيطاليا) مغلوية في طرابلس". وتؤكد الزهرة على أن المجاهدين العرب سوف يواصلون الحرب إذا كان في أمر الصلح تساهل في حقوقهم. ثم نشرت¹²⁴ خبر إبرام الصلح¹²⁵ ومحتواه دون تعليق وتفرغت للتعليق على الحرب البلقانية.

وفي نهاية هذا البحث لا مجال للتأكيد على الاهتمام البالغ الذي أولته الصحافة التونسية لحرب طرابلس. فرغم قصر المدة التي واكبت فيها الجرائد التونسية هذه القضية فإنها تكنت من الإلمام بكل أطرافها ساعية لدعم الدولة العثمانية ومساندتها في انتصاراتها وهزائمها متحدية بذلك وضعها السياسي مع ملاحظة أن الصحافة التونسية كانت في إنحياض واحد فلم تتميز جريدة عن أخرى إلا من حيث الصياغة وحدة اللهجة إذ كانت متحدة المواقف تجاه الغزو الإيطالي لولاية طرابلس.

123 - الزهرة 17 أكتوبر 1912 - انعقاد الصلح بين تركيا وإيطاليا.

124 - الزهرة: 20 أكتوبر 1912. أخبار الصلح. إبرام المعاهدة.

125 - أبرمت اتفاقية عشية الجمعية (11 أكتوبر 1912) على الساعة الثالثة والنصف وهي تشمل على إحدى عشر فصلا وتقتضي انتهاء الحرب بين إيطاليا والسلطنة العثمانية وسحب العساكر العثمانية من طرابلس، كما تضمنت اشتراط دفع القسط الذي ينوب طرابلس من الدين العمومي العثماني وإعادة العلاقات السياسية والتجارية والكفالات الأجنبية.